مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد (٣) – العدد (٣)، صيف ٢٠١٨
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

أثر معرفة أسباب النزول في التطبيق الواقعي للقرآن الكريم

Effect of knowledge of the reasons for descent in the actual application of the Holy Quran

الأستاذ الدكتور زياد محمود العاني
كلية القانون والعلاقات الدولية / الجامعة اللبنانية الفرنسية

المدرس المساعد كارزان فقي خليل كريم
كلية القانون والعلاقات الدولية / الجامعة اللبنانية الفرنسية

معلومات البحث

تاريخ البحث:
الاستلام: ٢٠١٨/٤/٣
القبول: ٢٠١٨/٥/١٥
النشر: **صيف ٢٠١٨**

Doi: 10.25212/lfu.qzj.3.3.05

الكلمات المفتاحية:

Reasons for descent, practical reality, crises, community facts, text, revelation, companions, hierarchy, judgments, advocacy, jurisprudence.

الملخص

إنَّ التصدِّي لنقل أسباب النزول يُسهم في الوقوف على خلفيَّة نزول الآيات وهو ما يُلقي ضوءً على الواقع الإجتماعي والثقافي الذي كان عليه الناس في ذاك الوقت، ويكشف عن شيءٍ من عظمة الإسلام حيثُ استطاع تغيير الواقع في ظلمات الجهل والضياع والهمجيَّة ويُسهم كذلك في الوقوف على الكيفيَّة التي اعتمدها الإسلامُ والقرآنُ في معالجة الأزمات والمشكلات الإجتماعيَّة والحقوقيَّة والثقافيَّة والاقتصاديَّة وغيرها التي كانت موجودة قبل نزول القرآن.

يرمي هذا البحث إلى بيان معرفة أسباب النُّزول و معنى الحقيقي الذي أنزل فيه الآية دون التدخل من تلقاء النفس والتعرف على أسرار هذا التشريع العظيم وما في أسباب النزول من العبر وحل المشاكل و الاستفادة من مراحل التشريع فإننا في أمس الحاجة إلى أن نبدأ الدعوة من جديد، وبيان كيفية معرفة أسباب النزول وفوائدها، و من ألّف في أسباب النزول قديما وحديثا، وأثر معرفة أسباب النزول في التطبيق الواقعي للقرآن الكريم، كأثره في فهم النصوص وتأثيره على السلوك، وأثره في معرفة سيرة الصحابة وعدالتهم، وأثره في معرفة التدرج في الدعوة، وأثره في معرفة التدرج في الأحكام ومعرفة الأحكام الفقهية

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد (٣) – العدد (٣)، صيف ٢٠١٨
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

ومعرفة حكمة التشريع..

مقدمة

مشكلة البحث

الحمد الله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجميعن إلى يوم الدين:

أما بعد:

فإن المصدر الأول من مصادر التشريع هو القرآن الكريم، وقد اقتضت حكمة الله أن ينزل القرآن منجما، كما قال الله تعالى((وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا)) الاسراء: 106، ومن مقاصد هذا التنزيل مسايرة الأحداث التي يعيشها النبي وصحابته الكرام، فتبين الأحكام وتعطي الإجابات لكثير من المسائل والوقائع التي تقع في زمن الرسول في المجتمع الإسلامي، ومناسبةُ ورودِ كلِّ قولٍ وملابساته مهمةٌ جداً في فهم هذا القول، من هنا كانت هناك مشكلة في فهم النص وتفسير معناه بعيدا عن معرفة سبب نزوله، فبمعرفة سبب النزول يفهم النص فهماً صحيحاً وبعكسه يحصل الفهم الخاطيء ويورد النص على غير مورده.

قال الإمام الشَّاطبيّ في الموافَقات: "معرفة أسباب النُّزول لازمةٌ لمن أراد علم القرآن،... لأنَّ الجهل بأسباب النُّزول مُوقِعٌ في الشُّبَه والإشكالات، ومُورِدٌ للنُّصوص الظاهرة مَورِدَ الاحتمال حتى يقع الاختلاف، وذلك مظنَّة وقوع النِّزاع"[1].

وقال الواحدي عن أسباب النزول : "هي أوفى ما يجب الوقوف عليها، وأولى ما تُصرَف العناية إليها؛ لامتناع معرفة تفسير الآية وقصد سبيلِها دون الوقوف على قصَّتِها وبيانِ نزولها"

وقال: "لا يمكن تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها"[2].

إنَّ التصدِّي لنقل أسباب النزول يُسهم في الوقوف على خلفيَّة نزول الآيات وهو ما يُلقي ضوءً على الواقع الإجتماعي والثقافي الذي كان عليه الناس في ذاك الوقت، ويكشف عن شيءٍ من عظمة الإسلام حيثُ استطاع تغيير الواقع في ظلمات الجهل والضياع والهمجيَّة ويُسهم كذلك في الوقوف على الكيفيَّة التي اعتمدها الإسلامُ والقرآنُ في معالجة الأزمات والمشكلات الإجتماعيَّة والحقوقيَّة والثقافيَّة والاقتصاديَّة وغيرها التي كانت موجودة قبل نزول القرآن.

وقد وقعت في صدر الأول وبعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم خلافات في الكثير من القضايا الفقهية التعبدية وأيضا في المعاملات المالية بسبب عدم معرفة سبب النزول، سنذكر منها أمثلة تطبيقية لاحقاً.

[1] الموافقات في أصول الفقه، لإبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي، دار المعرفة ، بيروت، تحقيق: عبد الله دراز، ج3، ص347.

[2] أسباب النُّزول، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، دار الكتب العلمية،ط1، 1991م، ص4.

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد (٣) – العدد (٣)، صيف ٢٠١٨
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

أهمية البحث وسبب اختياره

يتبين أهمية هذا الموضوع فيما يلي:

ارتباط هذا الموضوع بأساس الدين القران والسنة .

معرفة سبب النزول تعين على فهم الاية، كما أشكل على عروة قوله: {إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ} حتى أخبرته عائشة رضي الله عنها بسبب نزولها .

يتبين معنى الحقيقي الذي أنزل فيه الآية دون التدخل من تلقاء النفس. قال الواحدي: أما اليوم فكل أحد يخترع شيئا ويختلق إفكا وكذبا ملقيا زمامه إلى الجهالة غير مفكر في الوعيد للجاهل بسبب الآية، وذلك الذي حدا بي إلى كتابة هذا البحث لينتهي إليه طالبو هذا الشأن والمتكلمون في نزول القرآن فيعرفوا الصدق ويستغنوا عن التمويه والكذب ويجدوا في تحفظه بعد السماع والطلب.

الرغبة في التعرف على أسرار هذا التشريع العظيم وما في أسباب النزول من العبر وحل المشاكل التي قد ضاق بها أصحابها ذرعا فيأتي الفرج الإلهي، وذلك كقصة الثلاثة الذين خُلِّفُوا، وكقصة الإفك .
الاستفادة من مراحل التشريع فإننا في أمس الحاجة إلى أن نبدأ الدعوة من جديد في أسباب النزول الكثير الطيب من بيان مراحل الدعوة والتوجيهات الإلهية كآية القتال فإنها لم تنزل إلا بعد أن علم الله أن لهم اقتدارا على القتال إلى غير ذلك من الفرق بين المكي والمدني كما هو معروف.

خطة البحث:

المقدمة: تتضمن

- مشكلة البحث
- أهمية البحث وسبب اختياره
- صعوبات البحث

الفصل الأول: أسباب النزول تعريفه وأنواعه

المبحث الأول: تعريف أسباب النزول

المبحث الثاني: كيفية معرفة أسباب النزول وفوائدها

الفصل الثاني: إهتمام العلماء بمعرفة أسباب النزول

المبحث الأول: من ألّف في أسباب النزول قديما

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد (٣) – العدد (٣)، صيف ٢٠١٨
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

المبحث الثاني: منألّف فيه حديثا من المتأخرين
الفصل الثالث: أثر معرفة أسباب النزول في التطبيق الواقعي للقرآن الكريم
المبحث الأول: أثره في فهم النصوص وتأثيره على السلوك
المبحث الثاني: أثره في معرفة سيرة الصحابة وعدالتهم
المبحث الثالث: أثره في معرفة التدرج في الدعوة
المبحث الرابع: أثره في معرفة التدرج في الأحكام
البحث الخامس: أثره في معرفة الأحكام الفقهية
المبحث السادس: أثره في معرفة حكمة التشريع
الخاتمة: النتائج والتوصيات
المصادر والمراجع

الفصل الأول
أسباب النزول تعريفه وأنواعه

المبحث الأول: تعريف أسباب النزول

أسباب النزول مركب إضافي يتكون من كلمتين هما "أسباب" و "نزول"، ولمعرفة معناهما لابدّ من بيان معنى كل كلمة، ثم معنى الكلمتين معاً بعد أن صارتا عَلماً لِعلم مخصوص.

الفرع الأول: مفهوم السبب لغة واصطلاحا:

الأول: **مفهوم السبب لغة**

المفرد سبب والجمع أسباب، هو كل شيء يتوصل به إلى غيره، والسبب يأتي لعدة معاني:

منه سمي الحبل سببًا، قال تعالى: { فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ } [الحج:15] ومنها أيضاً قوله تعالى: {فَلْيَرْتَقُوا فِي الأَسْبَابِ} [ص:10] وقول فرعون: { لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ } [غافر:36-37] يعني: الوسائل التي يصعد بها[3].

[3] ينظر: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، مختار الصحاح، بيروت، المكتبة العصرية، 1999م، ص281؛ ومحمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب،بيروت: دار صادر، ط3، 1414 هـ ، مادة (سبب)، ج1، ص458 .

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد (٣) – العدد (٣)، صيف ٢٠١٨
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

الثاني: مفهوم السبب في الاصطلاح:

"فهو ما يلزم من عدمه العدم ولا يلزم من وجوده وجود ولا عدم لذاته، مثاله: أسباب الإرث نكاح وولاء ونسب، أو رحم ونكاح وولاء، فإذا عدمت هذه الأسباب عدم الإرث، فهذا معنى أنه يلزم من عدمه العدم، أي: إذا عدمت الأسباب عدم المسبب"[4].

قال الإمام الشاطبي رحمه الله في الموافقات" فأما السبب ، المراد به : ما وضع شرعا لحكم، لحكمة يقتضيها ذلك الحكم، كم كان حصول النصاب سببا في وجوب الزكاة ، والزوال سببا في وجوب الصلاة ، والسرقة سببا فيوجب القطع، والعقود أسبابا في إباحة الانتفاع أو انتقال الأملاك ، وما أشبه ذلك "[5]

والسبب هو كل وصف ظاهر منضبط دلّ الدليل على كونه معرفا لإثبات حكم شرعي بحيث يلزم من وجوده الوجود ومن عدمه العدم، ويمتنع وجود الحكم بدونه.

الفرع الثاني: مفهوم النزول لغة واصطلاحا:

أولا: مفهوم النزول لغة

عند أهل اللغة يطلق الإنزال على معنيين :-

أحدهما: الهبوط من علو، هبوط الشيء ووقوعه، يقال : نزل فلان من الجبل[6]، ومنه قوله تعالى: **(أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ .....)** سورة الرعد : 17 .

ثانيهما: الحلول يقال: نزل فلان بالمدينة أي حلَّ بها، ومنه قوله تعالى : (**وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلاً مُبَارَكاً وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ**) سورة الرعد : 29 .

النزول في الأصل هو انحطاط من عُلوٍّ، يقال: نزل عن دابته ونزل في مكان كذا حطَّ رحله فيه، والآيات الدالة على هذا المعنى كثيرة[7].

4 القواعد والفوائد، محمّد بن جمال الدّين مكّي العاملي الجزيني، ج 1، ص40 .

5 الموافقات ، تصنيف العلامة : أبي إسحاق إبراهيم اللخمي الشاطبي ، تقديم الشيخ : بكر عبد الله أبوزيد ، ضبط نصه وقدم له وعلق عليه وخرج أحاديثه : أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ، دار ابن عفان، الخُبر السعودية ، ط1، ج1 ، ص 410.

6 أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، بيروت: دار الفكر، د.ط، 1399هـ / 1979م، ،ج4، ص417.

7 **أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى**، المفردات في غريب القرآن. تحقيق: صفوان عدنان الداودي، بيروت: دار القلم، الدار الشامية، ط1، ص799.

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد (٣) – العدد (٣)، صيف ٢٠١٨
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

قال تعالى: (**يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا**). وقال تعالى: (**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ**). وقال تعالى: (**وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا**). وقال تعالى: (**وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ**).

ثانيا: مفهوم سبب النزول في اصطلاح العلماء:

لا يوجد تعريف واضح لهذا المصطلح عند المتقدمين، ولعل هذا يعود إلى عدم عنايتهم بالدراسات النظرية لعلم أسباب النزول.

ونظرًا لهذا فإني سأذكر بعض تعريفات المتأخرين ثم ما ترجح لديَّ في تعريف سبب النزول.

قال الزَّرقانيّ في مناهل العرفان: "سبب النُّزول هو ما نَزَلَت الآية أو الآيات متحدِّثةً عنه أو مبيِّنةً لحُكمه أيَّام وقوعه"[8].

وقال السّيُوطيّ في الإتقان: "والَّذي يتحرَّر في سبب النُّزول أنَّه: ما نزلت الآية أيَّام وقوعه"[9].

وقال الواحدي: "سبب النزول هو ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه، أو مبينة لحكمةٍ أيام وقوعه والمعنى أنه حادثة وقعت في زمن النبي عليه الصلاة والسلام أو سؤال وجه إليه فنزلت الآية أو الآيات من الله ببيان ما يتصل بتلك الحادثة أو بجواب هذا السؤال وذلك مثل حادثة خولة بنت ثعلبة، التي ظاهر منها زوجها "أوس بن الصامت" فنزلت آيات الظهار: (**قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ*الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ .....**) سورة المجادلة: الآيات 1-4 "[10].

ومثل ما نزل إجابة لسؤال وجه إلى النبي عليه الصلاة والسلام قوله تعالى: (**وَيَسْأَلونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إلا قَلِيلاً**) سورة الإسراء: الآية 85، وقوله تعالى: (**وَيَسْأَلونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْراً**) سورة الكهف: الآية 83، وقوله تعالى : (**يَسْأَلونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا**) سورة البقرة – الآية 185 .

ومثل ما نزل إرشاداً وهداية وتعليماً للرسول عليه الصلاة والسلام كما في قوله تعالى : (**وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً إلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ...**) سورة الكهف: الآية 23-24 وغيرها من الأمثلة.

ويختار الباحث التَّعريف المختار لأسباب النُّزول هو: سبب النزول هو الحادثة التي وقعت زمن النبي، فتنزل الآية أو الآيات متحدِّثة عنه أو مبينة لحكمةٍ أو حكمه أيام وقوعه.

---

[8] محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان، بيروت، دار الكتاب العربي، ط1، 1415 هـ ، 1995 م ، ج1، ص76.

[9] عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ، الإتقان، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة، الهيئة المصرية العامة ، 1394هـ/ 1974، ج1، ص101.

[10] أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، أسباب النُّزول،بيروت، دار الكتب العلمية،ط1، 1991م ، ص 66 .

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد (٣) – العدد (٣)، صيف ٢٠١٨
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

الفرع الثالث: أقسام ايات القرآن الكريم من حيث سبب النزول وعدمه:

ينقسم القرآن الكريم من حيث سبب النزول وعدمه إلى قسمين:

القسم الأول: قسم نزل من الله ابتداء غير مرتبط بسبب من الأسباب الخاصة إنما هو لمحض هداية الخلق إلى الحق ، وإرشادهم على الأفضل في هذه الحياة ، وهو كثير ظاهر في القرآن الكريم .

القسم الثاني: قسم نزل مرتبطاً بسبب من الأسباب الخاصة وهو موضوع البحث ، وهو كثير في القرآن الكريم ، مثل حديث الإفك ، أو إجابة عن سؤال ، أو بيان لأمر يتعلق بحادثة معينة[11] .

المبحث الثاني: كيفية معرفة أسباب النزول وفوائدها

أولا: كيفية معرفة أسباب النزول

السبيل إلى معرفة أسباب النـزول هو النقل الصَّحِيح ليس غير، يقول الواحدي :" ولا يحل القول في أسباب نزول الكتاب إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنـزيل ووقفوا على الأسباب، وبحث عن العلم وجدَّ في الطِّلاب. وقد ورد الشرع بالوعيد للجاهل ذي العثار في هذا العلم بالنار"[12].

ويعتبر قول الصحابي شيئا من هذا العلم من المرفوع حكماً، قال الحافظ أبو عمرو بن الصلاح فقال: "ما قيل من أن تفسير الصحابي حديث مسند فإنما ذلك في تفسير يتعلق بسبب نزول آية يخبر به الصحابي أو نحو ذلك"[13].

وعقب الزركشي على كلام ابن الصلاح قائلا: "ما اختاره فِي تفسير الصَّحَابِيّ سبقه إِلَيْهِ الْخَطِيْب وكَذَلِكَ الأستاذ أبو مَنْصُور البغدادي ،قَالَ :إذا أخبر الصَّحَابِيُّ عَن سبب وقع فِي عهد النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم أو أخبر عَنْ نزول آية فِيهِ فذلك مسند"[14].

11 ينظر: السيوطي، الإتقان، ، ج1 ص 29 ، والزرقاني، مناهل العرفان،ج1 ص 106 .

12 الواحدي، أسباب نزول القرآن، ص96.

13 ابن الصلاح، معرفة أنواع علم الحديث، المشهور بمقدمة، ابن الصلاح في علوم الحديث، تحقيق نور الدين عتر ، بيروت ، دار الفكر المعاصر 1986م، ص 124.

14 أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي الشافعي ، النكت على مقدمة ابن الصلاح ، تحقيق د. زين العابدين بن محمد بلا فريج، الرياض، أضواء السلف ، ط1، 1419هـ – 1998م، ج 1، ص434.

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد (٣) – العدد (٣)، صيف ٢٠١٨
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

"وسبقه الحاكم أبو عبد الله، فبعد أن ساق حديثاً عن جابر فِي سبب نزول آية قَالَ: هذا الحَدِيْث وأشباهه مسندة عن آخرها وليست بموقوفة ، فإنَّ الصحابي الَّذي شهد الوحي والتنـزيل فأخبر عَن آية من القرآن أَنَّهَا نزلت فِي كَذَا وكذا، فإنه حَدِيث مسند"[15].

"وإن كان سبب النـزول مرسلاً أي لم يذكر فيه الصحابي، فاشترط السيوطي لقبوله شرطين بعد صحة سنده:

الأول : أن يكون راويه معروفاً بأنْ لا يروي إلا عن الصحابة.

الثاني : أن يرد لَهُ شاهد مرسل أو متصل ولو ضعيفاً"[16].

أما صيغ التعبير عن سبب النـزول فقد اختلفت أساليبهم في التعبير عنه فتارة يعبرون بقولهم " سبب نزول الآية كذا" ، وهذا التعبير نَصٌّ فِي السببية ولا يحتمل غيره[17].

وقد يأتي بصيغة سؤال يسأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فينـزل عليه الوحي بجوابه من غير تعبير بلفظ النـزول، غير أن السببية واضحة من المقام. وحكمها حكم ما قبلها. وأخرى لا يؤتى بشيء مِمَّا سبق، بل يقال: نزلت هذه الآية في كذا، وهذه العبارة ليست نصاً في السببية، بل تحتمل السببية وتحتمل غيرها وهو أن هذا داخل في الآية وإن لم يكن السبب، كما يقال: عني بهذه الآية كذا[18].

الفرع الثاني: فوائد معرفة أسباب النُّزول:

فوائد معرفة أسباب النُّزول وهي:

1 - **الوقوفُ على المعنى وإزالةُ الإشكال.**

ومثاله: عن الزُّهرِيّ، قال عُرْوَة: "سألتُ عائشة رضي الله عنها فقلتُ لها: أرأيتِ قول الله تعالى: {إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا}، فوالله ما على أحد جُناح أن لا يَطَّوَّف بالصَّفا والمروة، قالت: بئسَ ما قلتَ يا ابنَ أختي، إنّ هذه لو كانت كما أوَّلْتَهَا عليه كانت: لا جُناح عليه أن لا يتَطَوَّف بهما، ولكنها أُنزِلَت في الأنصار، كانوا قَبْل أن يُسلِموا يُهِلُّون لمَنَاة الطَّاغية الَّتي كانوا يعبدونها عند المُشَلَّل، فكان مَن أهَلَّ يتحرَّج أن يطَّوف

[15] ابن الصلاح ، معرفة أنواع علم الحديث، ابن الصلاح في علوم الحديث، ص 20.

[16] جلال الدين السيوطي، التحبير في علم التفسير ، تحقيق : د.فتحي عبد القادر فريد، الرياض: دار العلوم، ط1، 1402هـ-1982م، ص174.

[17] الزرقاني، مناهل العرفان، ج 1، ص114 .

[18] شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، مجموع فتاوى، تحقيق عامر الجزار أنور الباز، الإسكندرية، دار الوفاء ،ط3، 1426 هـ 2005 م، ج13، ص 182 .

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد (٣) – العدد (٣)، صيف ٢٠١٨
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

بالصَّفا والمروة، فلما أسلموا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك, قالوا: يا رسول الله, إنَّا كنَّا نتحرَّج أن نطَّوف بين الصَّفا والمروة, فأنزل الله تعالى: {إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ}[19].

مثال آخر : "قوله تعالى: {قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [الأنعام:145]، فظاهر لفظ الآية يوحي بأن المحرمات من المطعومات هي هذه الأربعة وحسب ، والظاهر غير مراد ، قال الإمام الشافعي ما معناه: إن الكفار لما حرموا ما أحل الله، وأحلوا ما حرم الله، وكانوا على المضادة - أي تصرفهم بقصد المخالفة - جاءت الآية مناقضة لغرضهم فكأنه قال: لا حلال إلا ما حرمتموه، ولا حرام إلا ما أحللتموه"[20].

2 - تيسيرُ الحفظ وتسهيلُ الفهم في ذهن كلِّ مَن يسمع الآية إذا عَرَف سببها.

ومثاله: عن أسلَم أبي عمران التُّجِيْبِيّ، قال: "كنا بمدينة الرُّوم، فأخرجوا إلينا صفًّا عظيماً من الرُّوم، فخرج إليهم من المسلمين مثلهم أو أكثر، وعلى أهل مصر عُقبَة بن عامر، وعلى الجماعة فَضَالة بن عُبَيد، فحَمَل رجلٌ من المُسْلِمين على صفِّ الرُّوم حتى دَخَلَ فيهم، فصاح الناس وقالوا: سبحان الله, يلقي بيديه إلى التَّهلُكة، فقام أبو أيُّوب, فقال: يا أيها الناس, أنكم تتأوَّلون هذه الآية هذا التأويل، وإنما أُنزِلَت هذه الآية فينا معشر الأنصار، لما أعزَّ الله الإسلام وكثر ناصروه فقال بعضنا لبعض سراً دون رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنَّ أموالنا قد ضاعت, وإن الله قد أعزَّ الإسلام وكَثُر ناصروه, فلو أقَمْنا في أموالنا فأصلَحْنا ما ضاع منها، فأنزل الله تعالى على نبيه عليه الصلاة والسلام يردُّ علينا ما قُلنا: {وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ} فكانت التَّهلُكة الإقامة على الأموال وإصلاحها وتركِنا الغزو، فما زال أبو أيُّوب شاخصاً في سبيل الله حتى دُفِن بأرض الرُّوم "[21].

3 - في نزولِ بعضِ آياتِ القرآن عند الحوادث قطعُ دعوى مَن ادَّعوا أنه أساطير الأوَّلين.

4 - ومن فوائد معرفة أسباب النُّزول بيانُ عناية هذه الأمَّة بكتاب ربِّها، فمع حفظها للقرآن الكريم في الصُّدور والسُّطور تناقلت ما يتعلق بآيات الكتاب وسوره من أسباب نزوله، وهذا ما لم تفعله أمّة خَلَت قبل أمّة سيّدنا محمَّد عليه الصلاة والسلام ، وفي هذا تأويل قوله تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}[الحِجر: 9].

5 - في معرفةِ أسبابِ النُّزول إعانةٌ للدَّارس على معرفةِ التناسبِ بين بعضِ الآي والسُّور.

ومثاله: قوله تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ }[البقرة:189]، فلِسائلٍ أن يسأل: ما التَّناسب والتَّرابط بين مقطع الآية

---

[19] صحيح مسلم، مسلم ابن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط.، ج2، ص929.

[20] الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ص73

[21] الترمذي، سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن ، باب: ومن سورة البقرة، ج5، ص212، رقم الحديث 2972.

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد (٣) – العدد (٣)، صيف ٢٠١٨
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

الأوَّل: {يَسأَلُونَكَ عَنِ الأهِلَّة قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ}، والمقطع الثَّاني: {وَلَيسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا}، ما الصِّلةُ بين مواقيت الحجِّ ودخولِ البيوت من ظهورها أو من أبوابها؟

وينفعُ في الإجابة على سؤاله ذكرُ سبب نزول المقطع الثَّاني؛ ليظهر وجه التَّناسب والتَّرابط، فقد أخرج الشَّيخان وغيرهما عن البراء بن عازب ، قال: " نَزَلَت هذه الآية فينا, كانت الأنصار إذا حجُّوا فجاؤوا لم يدخلوا من قِبَل أبواب بيوتهم, ولكن من ظهورها, فجاء رجلٌ من الأنصار فدخل من قِبَل بابه, فكأنه عُيِّرَ بذلك, فنزلت: {وَلَيسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا}"[22].

6 - استنباط الأحكام الفقهية اعتماداً على الظروف المحيطة بالنُّزول المبيَّنة بالسَّبب.

ومثاله قوله تعالى: {وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ} [البقرة:115]، جاء في سبب نزولها حديث ابن عمر الَّذي أخرجه مسلم وغيره, قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي وهو مُقْبِل من مكَّة إلى المدينة على راحلته حيث كان وجهُه، وفيه نزلت هذه الآية: {فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ}"[23]، وقد تُرجِم للحديث عند مُسلِم (باب جواز صلاة النَّافلة على الدَّابَّة في السَّفر)، وعند النَّسائي (باب الحال التي يجوز فيها استقبال غير القبلة)، ومن التَّرجمتين يمكن أن نقرأ الفوائد الفقهيَّة المنثورة في كتب الفقه المستَنبَطة من سبب نزول الآية.

فسبب النُّزول يفيد في استنباط الأحكام اعتماداً على الظُّروف المحيطة بالآية المبيَّنة بالسَّبب.

7 - ترجيح معنىً مرادٍ من عدَّة معان لغويَّة تحتملها الكلمة القرآنيَّة، وكذلك ترجيح وجهٍ إعرابيٍّ مُختارٍ من عدَّة أوجهٍ تحتملها الكلمة القرآنيَّة.

ومثاله قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ }[البقرة 208].

فقد أخرج الطَّبريّ وغيره بسند ضعيف (لضعف الحسين، وعنعنة ابن جريج المدلس) عن عكرمة، قال: « نزلت في ثعلبة، وعبد الله بن سَلاَم, وابن يَامِين, وأسد، وأُسَيد ابني كَعْب، وسَعْيَة بن عَمرو، وقيس بن زيد -كلُّهم من يهود-، قالوا: يا رسول الله، يومُ السَّبت يومٌ كنَّا نعظِّمه، فدَعنا فلنَسبِت فيه، وإنَّ التَّوراة كتاب الله، فدعنا فلنقم بها باللَّيل، فنزلت: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ}»[البقرة 208].

فهذا السَّبب يُرجِّح أنْ يكون معنى {السِّلْمِ} في الآية الإسلام، قال القرطبي في "الجامع"[(24)]: (قال الكِسَائي: السِّلم والسَّلم بمعنى واحد، وكذا هو عند أكثر البصريِّين، وهما جميعاً يقعان للإسلام والمسالمة).

---

[22] محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، صحيح البخاري، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر (بيروت: دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ) كتاب الحج، باب: وَأْتُوا البُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا، رقم الحديث: 1803، ج3، ص8.

[23] مسلم ابن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، (د.ت). صحيح مسلم. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط،كتاب كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب: جَوَازِ صَلَاةِ النَّافِلَةِ عَلَى الدَّابَّةِ فِي السَّفَرِ، ج12، ص 4866، رقم الحديث 700.

[24] محمّد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، أبو عبد الله، الجامع لأحكام القرآن، بيروت ، دار الكتب العلمية، ط1، 1408هـ–1988م، ج3، ص17.

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد (٣) – العدد (٣)، صيف ٢٠١٨
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

وهذا السَّبب أيضاً يُرجِّح أن يكون {كَافَّةً} في محل نصب على الحال من {السِّلْمِ}، أي: ادخلوا في أعمال الإسلام وشعائره وعقائده مجتمعة، قال القرطبي: ({كَافَّةً}معناه جميعاً -قلت: مراده (مجتمعين)؛ لأن الحال تأتي مشتقة-، فهو نَصبٌ على الحال من {السِّلْمِ} أو من ضمير المؤمنين).

وإذا كان الوجه الثَّاني في معنى {السِّلْمِ} المسالمة، والوجه الثاني في إعراب {كَافَّةً} حالاً من ضمير المؤمنين، ليس بمستَبْعَداً؛ لأنَّ العبرة بعموم اللَّفظ لا بخصوص السَّبب، لكنَّ السَّبب الَّذي بين أيدينا رَجَّح ما ذُكِر.

8 - ومن فوائد معرفة أسباب النُّزول معرفةُ هل الآية مكيّة أو مدنيّة، ومعرفةُ مكانِ نزولها في بعض الأحيان.

الفصل الثاني
إهتمام العلماء بمعرفة أسباب النزول

المبحث الأول: من ألّف في أسباب النزول قديمًا

اعتنى المفسرون في كتبهم بأسباب النزول وأفردوا فيها التصانيف، فأقدم الكتب المصنفة في أسباب النزول هو:

1- **أسباب النزول،** لأبي الحسن ابن المديني شيخ البخاري (ت 234 هـ)، وهو أول من ألف في أسباب النزول ولكن كتابه لم يصل إلينا [25].

2- **القصص والأسباب التي نزل من أجلها القرآن**، لأبي مطرف عبد الرحمن بن محمد بن عيسي بن فطيس القرطبي (ت 402 هـ).[26]

3- **أسباب النزول**، للواحدي (ت 468هـ) وهو أول كتاب يصل إلينا في أسباب النزول، فقد جمع فيه أسباب النزول مرتبة على ترتيب سور القرآن الكريم، مروية بالإسناد غالبا، وقد طبع عدة طبعات منها طبعة (دار الكتاب الجديد) بتحقيق الأستاذ سيد صقر، وقد اعتمد على كتاب الواحدي من جاء بعده ممن ألف في أسباب نزول القرآن.

[25] ينظر: السيوطي، الإتقان، ج1، ص 28.

[26] ينظر: محمد بن علي بن أحمد الداوودي شمس الدين، طبقات المفسرين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1403 – 1983 ، ج1، ص 285.

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد (٣) – العدد (٣)، صيف ٢٠١٨
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

4- **أسباب النزول**، لأبي المظفر محمد بن أسعد الحليمي (ت 567 هـ) وقد جمع فيه بين أسباب النزول والتفسير والقصص، يحتوي على (152) صفحة وتوجد منه نسخة مصورة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ونسختان بجامعة أم القرى[27].

5- **أسباب النزول** لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (ت 597 هـ).[28]

6- **تقريب المأمول في ترتيب أسباب النزول**، لإبراهيم بن عمر الجعبري (ت 732 هـ) وقد اختصر فيه أسباب النزول للواحدي بحذف أسانيدها ولم يزد عليه شيئا، وتوجد منه نسخة خطية بدار الكتب المصرية[29].

7- **العُجَاب في بيان الأسباب** للحافظ ابن حجر العسقلاني (ت852هـ)، وهو أنفَعُ ما أُلِّف في أسباب النزول مما وجد، قال الإمام السّيُوطيّ: "ألَّف فيه شيخ الإسلام أبو الفَضلِ ابنُ حَجَرٍ كتاباً مات عنه مسودة، فلم نقِف عليه كاملاً"[30]، ويوجد منه نسخة مصورة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في (201) صفحة، وقد وصل فيه إلى أوائل سورة النساء، وقد جمع فيه الأسباب التي ذكرها الواحدي مختصرة بحذف أسانيدها مع تخريجها والحكم عليها بالصحة والضعف، وزاد عليها كثيرا من الأسباب التي لم يذكرها الواحدي، والظَّاهر أنَّه أكمَله، ولكن ضاع سائره بعد وفاته بقريب.

8- **لباب النقول في أسباب النزول**، للسيوطي، (ت 911 هـ) وقد جمع في كتابه ما ذكره الواحدي مع حذف الأسانيد وزاد عليه بعض الأسباب ويمتاز عليه بتبيين الصحيح من الأسباب من غيره، وعزوها إلى من خرجها من أصحاب الكتب المعتبرة، وهو مطبوع بدار التحرير للطبع والنشر بالقاهرة سنة 1382 هـ.

المبحث الثاني: من ألّف فيه حديثا من المتأخرين

1- **إرشاد الرحمن لأسباب النزول والنسخ والمتشابه وتجويد القرآن** لعطية الله الشافعي الأجهوري (ت 1190 هـ) يوجد منه نسخة مصورة في جامعة الملك سعود بالرياض، وهو كتاب جامع لأسباب النزول وغيرها مما هو مذكور في عنوانه، وقد اختصر فيه مؤلفه كتاب الواحدي بحذف أسانيده وضم إليه كتاب السيوطي " لباب النقول " حتى يكمل بعضهما الآخر، ولم يضف إلى ذلك شيئا جديدا إلا مجرد النقل والجمع.

2- **أسباب التنزيل** لأحمد بن علي بن أحمد الحنفي المصري، يوجد منه نسخة مخطوطة في دار الكتب المصرية، وهو اختصار لكتاب الواحدي وذلك بحذف أسانيده، ولم يزد عليه شيئا فهو قليل الفائدة.

3- **مع نزول القرآن** لمحمد محمد خليفة، تحدث في أول الكتاب عن نزول القرآن من حيث المكان والزمان، وأول ما نزل وآخر ما نزل، وكيفية الإنزال وطريقته وصور الوحي، وقد اختص معظم الكتاب بذكر أسباب النزول ورتبها حسب

---

[27] ينظر: أسباب النزول وأثرها في التفسير رسالة ماجستير للباحث عصام بن عبد المحسن الحميدان، ص 178.

[28] ينظر: الواحدي، أسباب النزول ، ص 23.

[29] ينظر: السيوطي، الإتقان، ج1،ص 28.

[30] ينظر: الواحدي، أسباب النزول، ص 23.

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد (٣) – العدد (٣)، صيف ٢٠١٨
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

موضوعاتها، ويذكر الأسباب بدون أسانيد ولا يشير إلى المراجع، ولم يذكر في كتابه المصادر التي رجع إليها وهو مطبوع بمكتبة النهضة المصرية سنة 1971 م.

4- **أسباب النزول عن الصحابة والمفسرين** للشيخ عبد الفتاح القاضي رئيس لجنة مراجعة المصاحف بالأزهر، وقد بدأه بتمهيد وبعض القواعد المتعلقة بها، ثم شرع في ذكر أسباب النزول مرتبة على ترتيب سور القرآن بدون إسناد.

5- **أسباب نزول القرآن** للدكتور حماد عبد الخالق حلوة، تحدث فيه عن تاريخ أسباب النزول ومصادرها ومناهج المؤلفين في الحديث والتفسير والتاريخ في عرض أسباب النزول والحديث عنها، ويقع هذا الكتاب في جزأين، الناشر له مكتبة الطليعة بأسيوط بمصر سنة 1980م.

6- الصحيح المسند من أسباب النزول لمقبل بن هادي الوادعي وهو بحث مختصر خرج فيه بعض أسباب النزول ورتبه على ترتيب سور القرآن، ذكر فيها أهمية أسباب النزول وبعض قواعدها باختصار، وقد طبع سنة 1400 هـ، والناشر له مكتبة المعارف بالرياض.

7- **جامع النقول في أسباب النزول وشرح آياتها** لابن خليفة عليوي، بدأ بمقدمة بين فيها معنى أسباب النزول وفوائدها وبعض القواعد المتعلقة بها، ثم شرع في جمع أسباب النزول بدون أسانيد، مرتبة على ترتيب سور القرآن، وفي جمعه لهذه الأسباب لم يفرق بين الصحيح منها من الضعيف وقد اقتصر على جمع ما في الكتب دون تمحيص، مع ذكر أقوال المفسرين في الآية والأحكام المستنبطة منها بأدلتها، وهو مطبوع في جزأين بمطابع الإشعاع بالرياض سنة 1404 هـ.

8- **أسباب النزول، أسانيدها وأثرها في التفسير**. رسالة دكتوراه، لجمعة سهل، تقدم بها إلى جامعة أم القرى.

9- **أسباب النزول وأثرها في التفسير**، لعصام بن عبد المحسن الحميدان حصل به على درجة الماجستير. سنة 1406 هـ من كلية أصول الدين بالرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، تقع هذه الرسالة في مجلدين، تناول الباحث فيها أهمية أسباب النزول وقواعدها وأثرها في التفسير، واختص القسم الأكبر من الرسالة بذكر الصحيح والضعيف من أسباب النزول مرتبا حسب ترتيب سور القرآن، معتمدا في ذلك على كتابي " أسباب النزول " للواحدي " ولباب النقول " للسيوطي، مع تخريج ما ذكره من الأسباب والحكم عليها، وهي رسالة جيدة ومفيدة وأسلوبها شيق[31].

[31] ينظر: مجلة البحوث الإسلامية ، العدد الثامن والثلاثون – الإصدار : من ذو القعدة إلى صفر لسنة 1413هـ 1414هـ ، أسباب النزول وأثرها في تفسير القرآن الكريم، ج38، ص192.

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد (٣) – العدد (٣)، صيف ٢٠١٨
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

الفصل الثالث

أثر معرفة أسباب النزول في التطبيق الواقعي للقرآن الكريم

إنَّ الآيات كانت مرتبطة بأسبابٍ وعلل، وحيثُ انَّها قد جاءت استجابةً لمشكلاتٍ وأسئلةٍ وقضايا فالآياتُ مشدودةٌ إلى التاريخِ بأسباب النزول والأحداثِ التي نزلت من أجلها وفي سياقها، فأسبابُ النزول هي العللُ الواقعيَّة للنزول، وذلك يقتضي الوقوف عند مدار هذه العلل التي أنتجت هذه الآيات، ولا يختلفُ الحال في ذلك بين كون الآيات بصدد بيان حكمٍ شرعي أو كانت بصدد البيان لقاعدة أصوليَّة أو غيرهما فإنَّه يتعيَّن فهم الآيات في سياق ظروف نزولها وأسبابه.

المبحث الأول: أثره في فهم النصوص وتأثيره على السلوك

إن القرآن الكريم بما له من تأثير على النفوس المشاعر والأحاسيس وأثر في القلوب، وبما فيه من آيات عظيمة، وتوجيهات حكيمة يورث تربية سلوكية قويمة للفرد في المجتمع، وأنه في جملته وتفصيله إرشاد وتوجيه لما يجب أن يكون عليه الإنسان ليأخذ من الكمال بحظ وافر في هذه الحياة. وليعد نفسه لجوار ذي الجلال في حياة الآخيرة قال تعالى: {قَد جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ، يَهدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذنِهِ وَيَهدِيهِم إِلَى صِرَاطٍ مُّستَقِيمٍ}(الآية 15- 16) سورة المائدة.

كان من الأهمية أن نُجلي أهمية هذا القرآن في حياة الأفراد، ودوره في بناء الجوانب المختلفة لشخصيته الفكرية والثقافية والسلوكية؛ مما له أثر كبير في صلاح المجتمع، والنهضة به على سنن هذا الكتاب وأخلاقه ومناهجه وتشريعاته.

فإن تهذيب سلوك الأفراد وتوجيهه نحو المثل العليا والمعاني السامية غاية عظيمة وهدف مقصود من غايات ديننا بل إن نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم جاء لإحياء هذه المعاني في النفوس والسلوك ، قال تعالى: {إِنَّ هَذَا القُرآنَ يِهدِي لِلَّتِي هِيَ أَقوَمُ وَيُبَشِّرُ المُؤمِنِينَ الَّذِينَ يَعمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُم أَجرًا كَبِيرًا} (الآية 9) سورة الإسراء .

لصحابة هم ذلك الجيل القرآني الفريد الذي لم يوجد له مثيل، وهم الذين كانوا يتلقون آيات القرآن الكريم من نبيهم الكريم عليه الصلاة والسلام ليعملوا بها. وقد جاء في كتب السير والمناقب والسنن الكثير من المواقف الرائعة التي تبين لنا مدى اهتمامهم بآيات القرآن، وسرعة استجابتهم للتعاليم الربانية الواردة فيها. وهنا بعضاً من هذه المواقف:

1)نجد أن القرآن له أثرٌ على الصحابة في البذل والعطاء ويدل على ذلك موقف رائع قلّ أن تجد من يفعل مثله ألا وهو موقف أبي طلحة الأنصاري من قوله تعالى: (لَن تَنَالُوا البِرَّ حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ)(آل عمران: 92).

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد (٣) – العدد (٣)، صيف ٢٠١٨
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

" فعن أنس قال: كان أبو طلحة أكثر أنصاري بالمدينة نخلاً، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماءٍ, فيها طيب، فلما أنزلت: " لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون " قام أبو طلحة فقال: " يا رسول الله، إن الله يقول: " لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون " وإن أحب أموالي إلي بيرُحاء، وإنها صدقة لله، أرجو برّها وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " بَخ، ذلك مالٌ رايح، ذلك مال رايح، وقد سمعت ما قلت، وأني أرى أن تجعلها في الأقربين " قال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله، فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمّه"[32].

2)فقد كان الناس في جاهلية جهلاء، وضلالة عمياء، فانقشعت ببعثة النبي عليه الصلاة والسلام وما أتى به من الهدى والحق؛ فدخل الصحابة في دين الله، وتأثَّروا بكلام الله؛ فزالت عنهم أوصاف الجاهلية من الصلف والغلظة وقسوة القلوب. فعالج القرآن نفوسهم، وعدل إعوجاج سلوكم، ولهم مع القرآن أحوالٌ، لنا فيها الأسوة الحسنة.

فهذا ثابت بن قيس بن شمَّاس خطيب الأنصار كان من عادته أنه يرفع صوته أثناء الكلام، فلما نزلت هذه الآية :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾]الحجرات: 2] جلس ثابت بن قيس في بيته وقال: "أنا من أهل النار". واحْتَبَس عن النبي عليه الصلاة والسلام، فسأل النبي عليه الصلاة والسلام سعدَ بن معاذ فقال: "يا أبا عمرو، ما شأن ثابت، أشتكى؟!))؛ قال سعد: إنه لَجاري، وما علمت له بشكوى. قال: فأتاه سعدٌ، فذكر له قول رسول الله عليه الصلاة والسلام فقال ثابت: أُنْزِلَتْ هذه الآية، ولقد علمتم أنِّي من أرفعكم صوتًا على رسول الله عليه الصلاة والسلام فأنا من أهل النار. فذَكَرَ ذلك سعدٌ للنبيِّ عليه الصلاة والسلام، فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام : ((بل هو من أهل الجنة)[33].

المبحث الثاني: أثره في معرفة سيرة الصحابة وعدالتهم

لقد نزلت الشريعة الإسلامية والأرض خصبة، والقلوب متفتِّحة، والرغبة أكيدة في الاستجابة لأوامر الله عز وجل، حيث تم الغرس، وأُسِّست القواعد للبنيان، فلم ينتظر المؤمنون حتى تنزل الأوامر والأحكام، فكانوا يُسارِعون ويسألون:

كما في قوله تعالى :﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ ﴾ [البقرة: 189]، وقوله تعالى :﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ﴾ [البقرة: 219]، وغيرهما، وهي ظاهرة: "يسألونك . "

لَمَّا نزلت التشريعات والأوامر الثقيلة، لم يقولوا: سمعنا وعصَيْنا، بل قالوا: سمعنا وأطعنا، كما جاء في قوله تعالى :﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ [البقرة: 285].

ذكر القرطبي "أن سبب نزول الآيةِ الآيةُ التي قبلها، وهي :﴿ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ ﴾]البقرة: 284]، فإنه لَمَّا أُنزِل هذا على النبي صلى الله عليه وسلم اشتدَّ ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله

[32] أخرجه البخاري في صحيحه برقم4279، ومسلم في صحيحه برقم 998.

[33] البخاري، صحيح البخاري، كتاب المناقب ، باب: علامات النبوة في الإسلام، رقم الحديث: 3613، ج4، ص201.

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد (٣) – العدد (٣)، صيف ٢٠١٨
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

عليه وسلم، فأتَوْه ثم برَكوا على الرُّكَب، فقالوا: أيْ رسول الله، كُلِّفنا من الأعمال ما نُطِيقه: الصلاة، والصيام، والجهاد، والصدقة، وقد أنزَل الله عليك هذه الآية ولا نُطِيقها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابينِ من قبلِكم: سمِعْنا وعصَيْنا؟! بل قولوا: سمعنا وأطعنا، غفرانك ربنا وإليك المصير))، فقالوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير، فلما اقترأها القوم ذلَّت بها ألسنتهم، وأنزل في أثرها :{ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ } البقرة: 285"[34].

عن أنس قال : قال عمر رضي الله عنه: "وافقت الله في ثلاث، أو وافقني ربي في ثلاث؛ قلت: يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى، فنزلت {واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى } البقرة: 125، وقلت: يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب، فنزلت آية الحجاب.

وبلغني معاتبة النبي صلى الله عليه وسلم بعض أزواجه، فدخلت عليهن فقلت: إن انتهيتن أو ليبدلن الله رسوله صلى الله عليه وسلم خيرا منكن؟ فأنزل الله: {عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن } التحريم: 5.[35]

عن أنس بن مالك رضي الله عنه : أنه سئل عن الصفا والمروة، فقال: كنا نرى أنهما من أمر الجاهلية، فلما كان الإسلام أمسكنا عنهما، فأنزل الله {إن الصفا والمروة من شعائر الله } البقرة:158 .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال):كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقا في الجاهلية، فتأثموا أن يتجروا في المواسم فنزلت: {ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم } الآية 19، في مواسم الحج.

المبحث الثالث: أثره في معرفة التدرج في الدعوة

فالتدرج هو العلاج لإصلاح النفوس، وهو الوسيلة لقبول الدعوة، وتحمل التكاليف وامتثالها من غير ضجرٍ ولا عَنَتٍ، فكانت الحكمة قاضية بالتدرج.

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخوَّلنا بالموعظة في الأيام؛ كراهة السآمة علينا[36]. "

يقول ابن حجر رحمه الله تعالى: "وفيه رفق النبي صلى الله عليه وسلم بأصحابه، وحسنُ التوصُّل إلى تعليمهم وتفهيمِهم؛ ليأخذوا عنه بنشاط لا عن ضجر ولا ملل، ويُقتَدَى به في ذلك؛ فإن التعليم بالتدريج أخف مُؤْنَة، وأدعى إلى الثبات[37] "

[34] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 2، ص 1235

[35] أخرجه البخاري، برقم الحديث 478.

[36] أخرجه المسلم، برقم الحديث 2821.

[37] أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: محب الدين الخطيب ، دار المعرفة، بيروت، ج11، ص228.

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد (٣) – العدد (٣)، صيف ٢٠١٨
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

فالتدرج تيسير من الله تعالى على عباده؛ لأنه يعلم طبائعهم وضعفهم، قال تعالى :﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴾ [النساء: 28]، وقال :﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ البقرة: 185.

والشريعة الإسلامية تقومُ على التيسير ورفع المشقة والحرج، فهي رحمةٌ للبشر، قال تعالى :﴿ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج: 78.

ذلك كله لا يتم إلا على تدريج يمتد بضع سنين، ذلك كان شأن الدولة التي أقامها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان شأن الدعوة التي أحكم غرسها فبقيت، وسرى نفعُها في العالَمين، وكان شأن الرجال الذين أعدَّهم لصحبته، فالتدرج وسيلة الإحكام والإجادة، ولولاه ما أُعد الرجال، ولا هُيِّئت الأجواء، ولا بقيت الدعوة.

لا يغيب عن بال قليلِ الخبرة بالناس والحياة أن التكليف بالكثرة مما لا يُطِيقه الناس، ولا يتحمَّلونه، فيدعو ذلك للنفور والإدبار، ولا يجد صاحبُ الدعوة الذي يريد أن يُلقي بكل التكاليف والتشريعات جملةً واحدة للناس إلا القليل النادر ممن يستجيب له؛ لأن طبيعة المكلَّفين لا تقبل الأخذ بجميع الفرائض والتكاليف، فيدعوهم ذلك إلى التولي وعدم الإقبال والامتثال[38].

المبحث الرابع: أثره في معرفة التدرج في الأحكام

نزلت آيات في القرآن الكريم تحرم أموراً كان الصحابة قد اعتادوا عليها حتى كانت جزءاً من حياتهم من الصعب أن يتركوه ومع ذلك فقد كانوا بمجرد علمهم بأن الله قد حرمها ونهى عنها في كتابه يتركونها فوراً وبلا أدنى تردد. وهذا موقف رائع يدل على مدى تأثرهم بآيات القرآن التي تنهاهم عن بعض الأمور التي ألفوها وتعودوا عليها:

أخرج البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "ما كان لنا خمرٌ غير فضيحكم هذا الذي تسمونه الفضيح، فإني لقائم أسقى أبا طلحة وفلاناً وفلاناً إذ جاء رجل فقال: هل بلغكم الخبر؟ فقالوا: وما ذاك؟ قال: حرمت الخمر، قالوا: أهرق هذه القلال يا أنس، قال: فما سألوا عنها ولا أرجعوها بعد خبر الرجل"[39].

وفي رواية لـه، قال أنس: "كنت ساقي القوم في منـزل أبي طلحة، فنـزل تحريم الخمر، فأمر منادياً فنادى، فقال أبو طلحة: أخرج فأنظر ما هذا الصوت؟ قال: فخرجت فقلت: هذا منادي ينادي: الا إن الخمر قد حرّمت، فقال لي: أذهب فأهرقها، قال: فجرت في سكك المدينة"[40].

[38] من كتاب الأمة: من مرتكزات الخطاب الدعوي في التبليغ والتطبيق؛ للأستاذ عبدالله الزبير عبدالرحمن، العدد 56، 1417 هـ، ص 120.

[39] أخرجه البخاري ، برقم 4341.

[40] أخرجه البخاري، برقم 4344.

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد (٣) – العدد (٣)، صيف ٢٠١٨
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

وفي تحريم الخمر والميسر (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوه لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُون . إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ والْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُون) المائدة : 90، 91.

كف الصحابة رضي الله عنهم عن شرب الخمر بمجرد وصول خبر تحريمه، ولم يكتفوا بذلك، بل أضافوا على ترك شربه إراقته في سكك المدينة زيادة في البعد عنه وحذراً من الوقوع في شربه مرة أخرى ولم يراجعوا الرسول في ذلك، ولم يتأخروا حتى يتحققوا من خبر التحريم، قالوا عندما نزلت عليهم آيات تحريم الخمر وفي آخرها: (فَهَل أنتُم مُنتَهُونَ) (المائدة: 91). قالوا: انتهينا انتهينا[41].

المبحث الخامس: أثره في معرفة الأحكام الفقهية

المراد من ربط الآيات بأسباب النزول هو انَّ الله تعالى كان قادراً على انزال الآيات ابتداءً فلماذا أنزلها مقترنةً بسببٍ لولا أنَّه أراد من ذلك ربط مفاد الآية بسبب النزول، فإنَّ نزول الآيات على الأسباب لا تنحصر فائدتُه بإرادة ربط الآيات وتخصيصها بسبب النزول، فثمة مناشئ ومبرِّرات عديدة يمكن أنْ تكون سبباً في قرن نزول بعض الآيات ببعض الوقائع وليكن من ذلك هو التأكيد على انَّه لا يضع الأحكام من عند نفسه بل ينتظر كلَّما استُفتي في شأنٍ أو وقعت قضيَّةٌ ينتظرُ حكمَ الله تعالى فإذا جاء حكمُ الله صدَعَ به، فالكثيرُ من الواقائع التي اقترن النزول بها كان يحدث مثلُها لكنَّ الرسول عليه الصلاة والسلام يظلُّ ساكتاً عنها ولا يُبدي فيها حكماً ثم تنزلُ آيةٌ بعد حدوث واقعةٍ فيتصدَّى النبيُّ عليه الصلاة والسلام لتبليغها، وهذا السلوك يُؤكِّد للمسلمين انَّه لا يأتي بالأحكام وغيرها من عند نفسه بل ينتظرُ فيها حكمَ الله واذنَه وبيانَه. فورود هذا الإحتمال كافٍ لتبرير نزول الآيات أو بعضها على الأسباب.

وللأسباب النزول أثر كبير على تشريع الأحكام الشريعة منها:

المثال الأول: آية حكم الظِهار (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا) فقد ورد انَّها نزلت في أوْس بن الصامت ظاهَرَ من امرأته خُويلة بنت ثعلبة، وكان الظِهار معروفاً عند العرب ولم ينزل فيه قرآنٌ إلا بعد مُظاهرةِ أوْس بن الصامت لزوجته[42].

المثال الثاني: آيات اللعان قوله تعالى (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ * وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ) (النور 6-7) ورد انَّها نزلت في هلال بن أميَّة

[41] أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق أحمد محمد شاكر، القاهرة: دار الحديث، ط1، 1416 هـ / 1995 م، ج1، ص184، رقم 379.

[42] أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، (د.ت). سنن أبي داود. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت: المكتبة العصرية، د.ط.، رقم الحديث 2214

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد (٣) – العدد (٣)، صيف ٢٠١٨
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

بعد أنْ رمى زوجته بالزنا، فهل كان هلالُ بن أُمية هو أول مَن رمى زوجته بالزنا أم انَّ هذا الأمر كان يقعُ قبل تشريع حكم اللعان[43].

المثال الثالث: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ روى مصعب بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه قال: أتيت على نفرٍ من المهاجرين فقالوا: تعال نطعمُك ونسقيك خمراً، وذلك قبل أن يُحرِّمَ الخمر، فأتيتُهم في حشٍّ، والحشُّ: البستان، وإذا رأس جزور مشويًّا عندهم ودنٌّ من خمر، فأكلتُ وشربتُ معهم، وذكرتُ الأنصار والمهاجرين، فقلتُ: المهاجرون خيرٌ من الأنصار، فأخذ رجلٌ لحى الرأس، فجذع أنفي بذلك، فأتيتُ رسولَ الله عليه الصلاة والسلام فأخبرتُه، فأنزل الله الآية في شأن الخمر[44].

فهل كان **هؤلاء** هم أول مَن شربوا الخمر فلما سكروا تنازعوا وآذى بعضُهم بعضاً أم كانت هذه الحالة شائعةً قبل نزول الآية؟!

المثال الرابع: قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللّهِ﴾ ورد أنَّها نزلت في طُعمة بن أُبيرق سرقَ درعاً، فهل هو أول مَن سرق فكانت هي العلَّة لنزول آيةِ حدِّ السرقة؟!

المبحث السادس أثره في معرفة حكمة التشريع

إن بعض الأحكام الشرعية قد تَخفى فيها حكمة التشريع، ولكن ما دامت قد ثبتت فلابد من امتثالها، يقول الله سبحانه: (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُون) (سورة البقرة : 216)، ولو أعمل الإنسان فكره في أمثال هذه التكاليف الشاقة لعلم أنها حق، وقد يشير الله إلى ذلك في بعض آيات أخرى مثل قوله تعالى: (وَلَوْلا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأَرْضُ) (سورة البقرة : 251. (

وكما قال في حكمة الصلاة (وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ) (سورة العنكبوت: 45).

وقال في تشريع القَصَاص (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ) (سورة البقرة : 179)، أن معرفة سبب النزول تبين الحكمة الداعية إلى تشريع الحكم.

إنَّ التصدِّي لنقل أسباب النزول قد يُساهم في الوقوف على وجه الحكمة من المضامين التي اشتملت عليها الآية فقد لا تتصدَّى الآية لبيان وجه الحكمة من ذلك، فيكون النقل لأسباب النزول مقتضياً للوقوف على وجه الحكمة، ويمكن التمثيل لذلك بقوله تعالى في سورة الحشر :﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ﴾ **(38)** فقد ورد انَّ هذه الآية نزلت في بني النضير من اليهود والذين كانوا

[43] رواه أبو داود، برقم 2256 .

[44] رواه مسلم، برقم 1748

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد (٣) – العدد (٣)، صيف ٢٠١٨
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

يستوطنون المدينة المنورة وقد تعاهد معهم النبيِّ عليه الصلاة والسلام لما قدم المدينة على الموادعة، والتزم لهم بمقتضى المعاهدة أكثر من ثلاث سنين لكنَّهم نقضوا المعاهدة فحاصَرَ النبيُّ عليه الصلاة والسلام حصونَهم ثم صالحهم على الإجلاء من المدينة، فالقارئ للآية مجرَّدةً عن ملاحظة سبب النزول قد لا يُدرك وجه الحكمة من اجلاء يهود بني النضير عن المدينة لكنَّه حين يقفُ على سبب النزول يُدركُ وجه الحكمة من قوله تعالى :{هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ}.

قال الزركشي: "وأخطأ من زعم أنه لا طائل تحته يعني العلم بأسباب النزول لجريانه مجرى التاريخ وليس كذلك بل له فوائد، منها: وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم"[45]

قال الزرقاني مبينًا فائدة العلم بحكمة التشريع: "وفي ذلك نفع للمؤمن وغير المؤمن. أما المؤمن فيزداد إيماناً على إيمانه، ويحرص كل الحرص على تنفيذ أحكام اللَّه، والعمل بكتابه لما يتجلى له من المصالح والمزايا التي نيطت بهذه الأحكام، ومن أجلها جاء هذا التنزيل، وأما الكافر فتسوقه تلك الحكم الباهرة إلى الإيمان إن كان منصفًا حين يعلم أن هذا التشريع الإسلامي قام على رعاية مصالح الإنسان، لا على الاستبداد، والتحكم، والطغيان؛ خصوصًا إذا لاحظ سيرَ ذلك التشريع وتدرجه في موضوع واحد. وحسبك شاهدًا على هذا تحريم الخمر وما نزل فيه".

ومن الأمثلة التي يبين فيها السببُ الحكمة الداعية إلى تشريع الأحكام ما يلي:

1 - أخرج البخاري عن ابن عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قوله تعالى: (وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا) قال: نزلت ورسول اللَّه عليه الصلاة والسلام مختفٍ بمكة، وكان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن فإذا سمعه المشركون سبوا القرآن، ومن أنزله، ومن جاء به فقال الله لنبيه عليه الصلاة والسلام: (وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ) أي: بقراءتك، فيسمع المشركون فيسبوا القرآن، (وَلَا تُخَافِتْ بِهَا) عن أصحابك فلا تسمعهم (وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا)[46].

فالآية خلت من ذكر الحكمة الداعية إلى التشريع، بينما السبب نص عليها، وهي كف المشركين عن سب القرآن، ومن أنزله، ومن جاء به.

2 - أخرج مسلم وأحمد والدارمي والترمذي والنَّسَائِي عن عبد اللَّه بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه سُئل عن المتلاعنين أيفرق بينهما؟ قال: سبحان الله نعم إن أول من سأل عن ذلك فلان بن فلان. قال: يا رسول اللَّه أرأيت أن لو وجد أحدنا امرأته على فاحشة كيف يصنع؟ إن تكلم تكلم بأمر عظيم، وإن سكت سكت على مثل ذلك ... الحديث. فآيات اللعان خلت من ذكر الحكمة الداعية إلى التشريع، لكن السبب بيّنها، ذلك أن الزوج هنا بيْن أمرين أحلاهما مرّ، فإن تكلم فحد القذف

[45] الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص13

[46] رواه أحمد في المسند، ج1، ص295.

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد (٣) – العدد (٣)، صيف ٢٠١٨
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

أمامه، وإن سكت سكت على أمر عظيم كما قال. ولن يطيق هذا مؤمن فكانت مشروعيةُ اللعان مخرجاً من حد القذف، أو السكوت على الريبة، واللَّه أعلم[47].

الخاتمة

في نهاية البحث أحمد الله على إتمام هذا الجهد، وتحتوي الخاتمة أهمّ النتائج التي توصّل إليها الباحث، والتوصيات:

النتائج:

1) معرفة أسباب النُّزول لازمةٌ لمن أراد علم القرآن، لأنَّ الجهل بأسباب النُّزول مُوقِعٌ في الشُّبَه والإشكالات، ومُورِدٌ للنُّصوص الظاهرة مَورِدَ الاحتمال حتى يقع الاختلاف، وذلك مظنَّة وقوع النِّزاع.

2) لا يوجد تعريف واضح لهذا المصطلح عند المتقدمين، ولعل هذا يعود إلى عدم عنايتهم بالدراسات النظرية لعلم أسباب النزول.

3) ويختار الباحث التَّعريف المختار لأسباب النُّزول هو: سبب النزول هو الحادثة التي وقعت زمن النبي، فتنزل الآية أو الآيات متحدِّثة عنه أو مبينة لحكمةٍ أو حكمه أيام وقوعه.

4) ينقسم القرآن الكريم من حيث سبب النزول وعدمه إلى قسمين: قسم نزل من الله ابتداء غير مرتبط بسبب من الأسباب الخاصة، قسم نزل مرتبطاً بسبب من الأسباب الخاصة وهو موضوع البحث، السبيل إلى معرفة أسباب النـزول هو النقل الصَّحِيح ليس غير.

5) فوائد معرفة أسباب النُّزول ، الوقوفُ على المعنى وإزالةُ الإشكال، تيسيرُ الحفظ وتسهيلُ الفهم في ذهن كلِّ مَن يسمع الآية إذا عَرَف سببها، ترجيح معنىً مرادٍ من عدَّة معان لغويَّة تحتملها الكلمة القرآنيَّة، ومنها بيانُ عناية هذه الأمَّة بكتاب ربِّها، استنباط الأحكام الفقهية اعتماداً على الظروف المحيطة بالنُّزول المبيِّنة بالسَّبب، وغيرها.

6) ومن فوائد معرفة أسباب النُّزول معرفةُ هل الآية مكيّة أو مدنيّة، ومعرفةُ مكانِ نزولها في بعض الأحيان.

7) إنَّ الآيات كانت مرتبطة بأسبابٍ وعلل، وحيثُ انَّها قد جاءت استجابةً لمشكلاتٍ وأسئلةٍ وقضايا، منها أثرسبب النزول في معرفة سيرة الصحابة وعدالتهم، وأثره في معرفة الأحكام الفقهية، وأثره في معرفة التدرج في الأحكام، وأثره في معرفة حكمة التشريع.

[47] أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، روضة الطالبين وعمدة المفتين، تحقيق زهير الشاويش، بيروت– دمشق– عمان: المكتب الإسلامي، ط3، 1412هـ / 1991م، ج17،ص358.

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد (٣) – العدد (٣)، صيف ٢٠١٨
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

التوصيات:

1. إن موضوع أسباب النزول جدير بالاهتمام والدراسة، بعد أن تبين معنى سعة نظرية تطبيقية هذا الموضوع، لهذا أقترح على الباحثين أن يفردوا في دراساتهم تفاصيل هذا الموضوع ويتوسعوا في دراسة.
2. العناية بدراسة أسباب النزول الواردة في كتب التفسير، خصوصًا التي تعتني بالمأثور .
3. كتب التفسير فيها روايات واهية وبعضها موضوعة، فأقترح أن تنقى هذه الكتب من خلال دراسات علمية منظمة.
4. ألا يجعل اختلاف الأئمة المفسرين الناشئ عن اجتهاد مخلص مستندٍ إلى الدليل الصحيح، ألا يجعل هذا سببا للفرقة.
5. معرفة فضل أئمة الإسلام، وحقوقهم ومراتبهم، والاهتمام بما ألفوا قديما وحديثا في هذا المجال ودراسة مؤلفاتهم.

المصادر والمراجع:

1) ابن الصلاح، معرفة أنواع علم الحديث، المشهور بمقدمة، ابن الصلاح في علوم الحديث، تحقيق نور الدين عتر ، بيروت ، دار الفكر المعاصر 1986م.
2) أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، بيروت: دار الفكر، د.ط، 1399هـ / 1979م.
3) أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: محب الدين الخطيب ، دار المعرفة، بيروت.
4) أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى، المفردات في غريب القرآن. تحقيق: صفوان عدنان الداودي، بيروت: دار القلم، الدار الشامية، ط1.
5) أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، (د.ت). سنن أبي داود. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت: المكتبة العصرية، د.ط.
6) أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، روضة الطالبين وعمدة المفتين، تحقيق زهير الشاويش، بيروت- دمشق- عمان: المكتب الإسلامي، ط3، 1412هـ / 1991م.
7) أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق أحمد محمد شاكر، القاهرة: دار الحديث، ط1، 1416 هـ / 1995 م.
8) أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي الشافعي ، النكت على مقدمة ابن الصلاح ، تحقيق د. زين العابدين بن محمد بلا فريج، الرياض، أضواء السلف ، ط1، 1419هـ - 1998م.
9) أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، أسباب النُّزول،بيروت، دار الكتب العلمية،ط1، 1991م .
10)أسباب النزول وأثرها في التفسير رسالة ماجستير للباحث عصام بن عبد المحسن الحميدان.
11)أسباب النُّزول، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، دار الكتب العلمية،ط1، 1991م.

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد (٣) – العدد (٣)، صيف ٢٠١٨
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

12)الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، (1395هـ/ 1975م). سنن الترمذي. تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ 1، 2)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ 3)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ 4، 5)، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط2.

13)جلال الدين السيوطي، التحبير في علم التفسير ، تحقيق : د.فتحي عبد القادر فريد، الرياض: دار العلوم، ط1، 1402هـ-1982م.

14)أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، البرهان في علوم القرآن، بيروت، دار المعرفة.

15)زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، مختار الصحاح، بيروت، المكتبة العصرية، 1999م، ص281؛ ومحمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب،بيروت: دار صادر، ط3، 1414 ه.

16)شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، مجموع فتاوى، تحقيق عامر الجزار أنور الباز، الإسكندرية، دار الوفاء ،ط3، 1426 هـ 2005 م.

17)صحيح مسلم، مسلم ابن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط.

18)عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ، الإتقان، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة، الهيئة المصرية العامة ، 1394هـ/ 1974.

19)القواعد والفوائد، محمّد بن جمال الدّين مكّي العاملي الجزيني، https://books.rafed.net.

20)مجلة البحوث الإسلامية ، العدد الثامن والثلاثون - الإصدار : من ذو القعدة إلى صفر لسنة 1413هـ 1414هـ ، أسباب النزول وأثرها في تفسير القرآن الكريم.

21)محمَّد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، أبو عبد الله، الجامع لأحكام القرآن، بيروت ، دار الكتب العلمية، ط1، 1408هـ-1988م.

22)محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، صحيح البخاري، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر بيروت: دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ.

23)محمد بن علي بن أحمد الداوودي شمس الدين، طبقات المفسرين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1403 – 1983.

24)محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان، بيروت، دار الكتاب العربي، ط1، 1415 هـ ، 1995 م.

25)مسلم ابن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، (د.ت). صحيح مسلم. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط.

26)من كتاب الأمة: من مرتكزات الخطاب الدعوي في التبليغ والتطبيق؛ للأستاذ عبدالله الزبير عبدالرحمن، العدد 56، 1417 هـ.

27)الموافقات ، تصنيف العلامة : أبي إسحاق إبراهيم اللخمي الشاطبي ، تقديم الشيخ : بكر عبد الله أبوزيد ، ضبط نصه وقدم له وعلق عليه وخرج أحاديثه : أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ، دار ابن عفان، الخُبر السعودية ، ط1.

1. الموافقات في أصول الفقه، لإبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي، دار المعرفة ، بيروت، تحقيق: عبد الله دراز.

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد (٣) – العدد (٣)، صيف ٢٠١٨
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

پوختە

باسکردن لە هۆکارەکانی هاتنەخوارەوەی قورئانی پیرۆز پەیوەستە بە ڕاوەستان لەسەر دیوەکەی تری هاتنەخوارەوەی ئایەتەکان کە تیشکدەخاتە سەر واقعی کۆمەڵایەتی و ڕۆشنبیری خەڵك ئەو کاتەی تێدا ژیاون، وە گەورەی ئیسلام نیشاندەدات کە چۆن توانی واقع بگۆڕی لە تاریکایی نەزانین و لەناوچوون و بەربەریەت ، هەروەها وەستا لەسەر چۆنیەتی چارەسەرکردنی ئەزمات و کێشەکانی کۆمەڵایەتی و ماف و ڕۆشنبیری و ئابوری کە هەبوون پێش هاتنە خوارەوەی قورئان.

ئەم توێژینەوە باس لە مانای هاتنەوە خوارەوەی قورئان و مانادروستیەکەی هاتنەخوارەوە و نهێنیەکانی دەکات، هەروەها باس لەو پەندو ئامۆژگاری چارەسەری کێشەکان دەکات، وەچۆن سوود وەرگیرێت لە قۆناغەکانی تەشریع، هەروەها باس لە چۆنیەتی هۆکارەکانی هاتنەخوارەوەو سودەکانیدەکات، هەروەها پەرتوکە دانراوەکان لەبارەی هۆکارەکانی هاتنەخوارەوە لە کۆن و ئێستادا، وە زانینی هۆکارەکانی هاتنەوارەوە لە جیبەجێکردنی واقعی قورئانی پیرۆز، وەك لە تێگەیشتن لە تێکستەکان و کاریگەری لەسەر ڕەفتار و زانینی میژووی هاوەڵەکان و دادپەروەریان و چۆنیەتی بانگەوازکردن و زانینی حوکمەکانی فیقهی و حیکمەتی تەشریع.

Abstract

The response to the transfer of Asbab Annzul Al-Qur'an contributes to the stand against the background of the descent of the verses, which sheds light on the social and cultural reality that was at the time of the people, and reveals something of the greatness of Islam where he was able to change the reality in the darkness of ignorance and loss and barbarism and also contribute to how to Adopted by Islam and the Qur'an in dealing with the crises and social, legal, cultural, economic and other problems that existed before the descent of the Qur'an.

This research aims to explain the reasons for the descent and the meaning of the truth, On the secrets of this great legislation and the reasons for getting off the lessons and solving problems and benefit from the stages of legislation, and how to know the Asbab Annzul Al-Qur'an and benefits, And the impact of knowledge in the real application of the Holy Quran, such as its impact on the understanding of the texts and its impact on behavior, and its impact on the knowledge of the biography of the al-sahaba and their justice, and its impact on the knowledge of the gradualization of judgments and knowledge of jurisprudential provisions and knowledge of the wisdom of legislation.

.